مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة - تصدر سنويًا

العدد
السادس عشر
1999

1429 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1999 إفرنجي

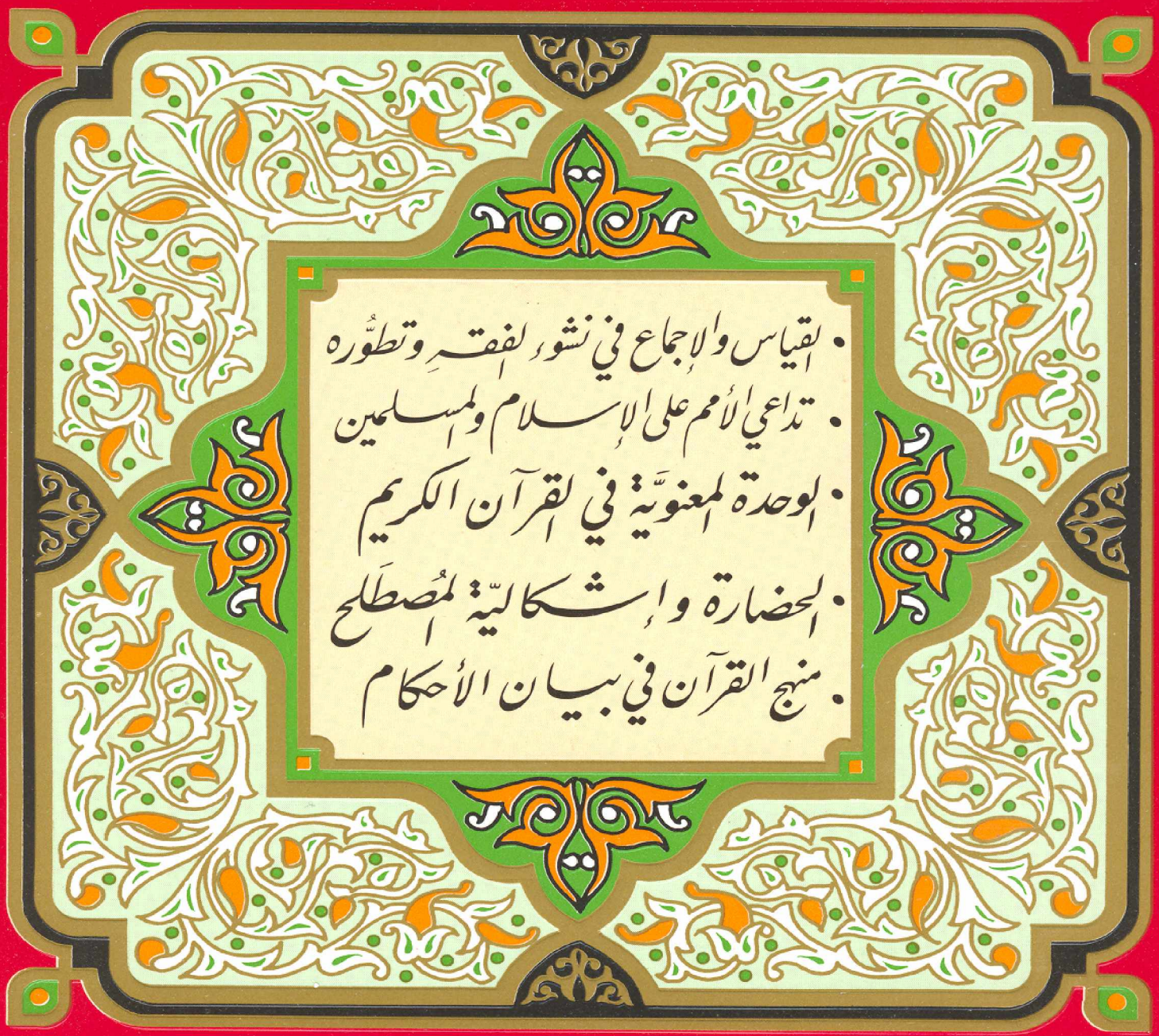

الإطناب

د. مناف مهدي الموسوي
كلية الآداب والعلوم التراثية

الإطناب: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة»[1].

وقيل: الإطناب أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد.

والإطناب بوزن (الإفعال) همزته همزة قطع، مصدر الفعل الرباعي.

(أطنبَ) يقال: «أطنَبتِ الريحُ إطناباً: اشتدّت في غبار، ومنه يقال: أطنب الرجلُ إذا بالغَ في قوله كمدح أو ذم»[2].

والمطنب المدّاح لكلّ أحد.

وقال ابن الأنباري «أطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد، وأطنب، في عَدْوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة»[3].

والإطناب عند الجاحظ[4] مقابل الإيجاز، ومرادف للإطالة. فهو يرى أنّ كلّ ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام، ولم يقف عند منتهى البغية إطناب أو إطالة.

(1) التعريفات للشريف الجرجاني: 13، والكليات لأبي بقاء الكفوي: 141.
(2) المصباح المنير للفيومي: 379.
(3) تاج العروس للزبيدي: 1/357.
(4) الحيوان: 6/7.

وقد خطّأ أبو هلال العسكري من يستعمل الإطناب في موضع الإيجاز في الكلام أو العكس، فقال: «ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجار، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»[5].

ومفهوم الإطناب الاصطلاحي أو البلاغي يحدده ضياء الدين بن الأثير فيقول: «هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة»[6].

والذي يميز الإطناب من التطويل عند ابن الأثير الفائدة، لأنّ التطويل عنده «زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة» ويميزه ـ كذلك ـ من التكرير الذي هو «دلالة اللفظ على المعنى مكرراً، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد»[7] لكنّه يدخل النوع الآخر من التكرير، وهو الذي يأتي لفائدة، فيقول: «فأما الذي يأتي لفائدة فإنّه جزء من الإطناب وهو أخص منه، فيقال حينئذٍ: إنّ كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب، وليس كلّ إطناب تكريراً يأتي لفائدة. وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل، وهو أخص منه، فيقال: حينئذٍ: إنّ كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل، وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة».

وللإطناب ـ كما ذكر البلاغيون[8] ـ وجوه، بحسب الأغراض البلاغية منها:

1 ـ الإبهام مع التفسير.

وهذا يعني أن الإطناب يظهر المعنى في صورتين مختلفتين:

الأولى مجملة مبهمة، والثانية مفصلة موضحة.

---

(5) كتاب الصناعتين: 190.

(6) المثل السائر: 2/ 357.

(7) المصدر نفسه: 2/ 358.

(8) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن علي الجرجاني: 153 ـ 165.

والغرض منه تشويق النفس لسماع التفصيل والإيضاح بعد سماع الإجمال والإبهام، منه قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[9].

فقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ كلام مجمل مبهم، وضحه وفصّله بقوله فيما بعد: قال يا آدمُ هل أدلُّك..».

ومن هذا الباب أي الإيضاح بعد الإبهام: (التوشيع)، وهو أن يؤتى بمثنى مُبهم ثُمَّ يُفَسَّر، كقول الشاعر عبد الله بن المعتز:

سَقتني في ليلِ شبيهِ بشعرها شبيهة خدَّيها بغير رقيب

فما زلتُ في ليلتين: شعر وظلمة وشمسين: مِنْ خمرٍ ووجه حبيب[10]

2 ـ ذكر الخاص بعد العام:

وذلك تنبيهاً على كون الخاص أعظم وأهم بالذكر كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[11].

فخص الله تعالى (الروح) بالذكر وهو جبرائيل تعظيماً لشأنه مع أنّه ضمن عموم الملائكة، فنبّه على الخاص لتكريمه مع أنّه داخل ضمن العام الذي سبق ذكره.

3 ـ ذكر العام بعد الخاص.

والغرض منه إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص.

كقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[12] فقوله تعالى: ﴿لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ سبق ذكره لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، ومع ذلك خص بذكره مرة أخرى للعناية به.

---

(9) سورة طه، الآية: 120.

(10) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: 154.

(11) سورة القدر، الآية: 4.

(12) سورة نوح، الآية: 28.

4 ـ **التكرار لفائدة: منها:**

أ ـ التكرار للزجر كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[13].

ب ـ طول الفصل كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[14] فكرر (لا تحسبنّهم) لطول الفصل بين الأول ومتعلقة وهو ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

5 ـ **الإيغال:** وهو أن يشبه شيء بشيء، ثم يردف بلفظ يدل على كماله كقول الخنساء:

وإن صخراً لتأتمُّ الهُداة به كأنّه علمٌ في رأسهِ نارٌ[15]

فالتشبيه في البيت حصل بقولها (كأنّه علم) ولكنّها أردفته بقولها (في رأسه نار) للتوغل في إتمام المعنى.

6 ـ **التذييل:**

هو تعقيب الجملة بجملة أخرى بمعناها للتوكيد سواء كانت الثانية مستقلة بنفسها أم لا، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[16] أي عاقبناهم بما كفروا، استعمالاً للعام موضع الخاص لقرينة (كفروا).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[17].

فجملة ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تعقيب على الجملة السابقة تشتمل على معناها توكيداً لها وهي في الوقت نفسه مستقلة بمعناها لا يتوقف فهمها على فهم ما قبلها.

---

(13) سورة التكاثر، الآية: 3 و4.
(14) سورة آل عمران، الآية: 188.
(15) الإشارات والتنبيهات: 156.
(16) سورة سبأ، الآية: 17.
(17) سورة الإسراء، الآية: 81.

7 ـ **التكميل**: ويسمّى الاحتراس. وهو أن يكون الكلام محتملاً خلاف المقصود منه فيؤتى بكلام آخر مزيل لاحتمال غير المقصود كقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[18] فإنه لو اقتصر على قوله: ﴿أَذِلَّةٍ﴾ لتوهم أن ذلّتهم عن عجز فأزال الوهم بقوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

8 ـ **التتميم**: وهو أن يزاد في كلام زيادة، لا لإزالة غير المقصود بل لفائدة أخرى إما للمبالغة كقوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[19].

أي مع حبّ الطعام فإن الإطعام مع شدة المحبة له والحاجة إليه ـ أبلغ في الفضيلة. أو للاعتراض، على وجه التنزيه نحو قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[20] فإن (سبحانه) اعتراض للتنزيه.

أو للدعاء: كقول المتنبي:

وتحتقر الدنيا احتقار مُجرّبٍ يرى كلَّ ما فيها ـ وحاشاك ـ فانيا[21]

فقوله (حاشاك) اعتراض للدعاء.

---

(18) سورة المائدة، الآية: 54.

(19) سورة الإنسان، الآية: 8.

(20) سورة النحل، الآية: 57.

(21) الإشارات والتنبيهات: 163.